

كتاب العدد

سيكولوجية الطفل المبدع
Psychology of Creative Child

تأليف: أ.د. ممدوح عبد المنعم الكنانى

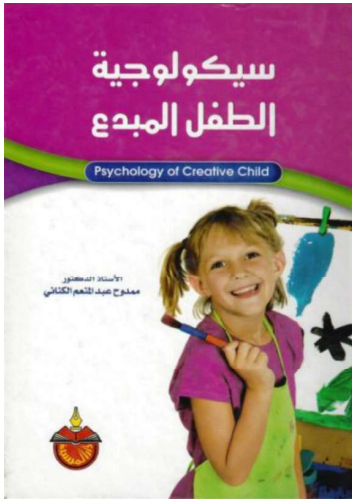
الناشر: دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان، 2011

(440) صفحة من القطع المتوسط

عرض ومراجعة: السيد أحمد المخزنجي

صحافي - عضو اتحاد الكتاب بالقاهرة، مقيم بالكويت

eelmakhzangi@yahoo.com



يحتوي الكتاب على اثني عشر فصلاً تتناول مبررات الاهتمام بالإبداع في الطفولة، ومفهوم الإبداع وأنواعه ومستوياته، وقدرات الإبداع لدى الطفل، وسمات ودوافع الطفل المبدع، والحل الابتكاري للمشكلة (العملية الابتكارية)، والنتائج الابتكارية، واكتشاف الأطفال المبدعين، وتفسير نظريات علم النفس للإبداع، والفروق بين الجنسين في الإبداع، ونموها خلال مرحلة الطفولة، والخيال وإبداع الطفل، ولعب الطفل وإبداعه، وأخيراً لعب الدور في الدراما الإبداعية، ومسرحة القصة وسردها، وقائمة المراجع باللغتين العربية والأجنبية، ثم مقدمة الكتاب التي يوضح المؤلف فيها أهدافه من هذا الكتاب، والتي منها: بيان علاقة الخيال واللعب وأنواعهما بتنمية التفكير الابتكاري، وإبداع الطفل، وأثر لعب الدور

والقصص والدراما على ابتكارية الطفل.. إلى جانب تمكين القارئ - بشكل عام - من فهم قدرات وسمات الابتكار والإبداع والفروق بينهما، والفرق بين إبداع الطفل وإبداع الشخص البالغ أو الراشد، إلى جانب حرص المؤلف على تفسير نظريات علم النفس لحدوث الابتكار والإبداع لدى الأفراد، والفروق بين الجنسين (الذكور والإناث) في التفكير الابتكاري والإبداع. هذا مع تطعيم الكتاب بعدد من الأمثلة والتدريبات (التطبيقات) على بعض المفاهيم والعمليات العقلية التي يتناولها الكتاب بين طيات صفحاته. وفيما يلي عرض لأبرز الموضوعات التي يتناولها د. الكنانى في كتابه.

أهمية تشجيع الإبداع

يعتبر الفصلان الأول والثاني من الكتاب بمثابة (مدخل) أو إطار نظري إلى موضوعاته، حيث يتناول المؤلف - في الفصل الأول - بيان مبررات، أو بالأحرى (دوافع) الاهتمام بالإبداع

في مرحلة الطفولة التي تعد من أهم مراحل تربية الأطفال وتنشئتهم، لأنهم سيتفاعلون مع عصر المعلومات وثورة التكنولوجيا. ويشير- في هذا الصدد - إلى ثلاثة عوامل أدت إلى زيادة اهتمام علماء النفس بدراسة التفكير الابتكاري (لدى الأطفال) وهي:

1. أن مقاييس الذكاء التقليدية لم تثبت بطريقة مقنعة أنها تستطيع التمييز بين الأشخاص الذين يتوقع أن يصبحوا مبدعين، والأشخاص غير المبدعين.
2. زيادة تفجر المعرفة وتدفعها، مما جعل أساليب التدريس المألوفة وأساليب التعلم التقليدي محدودة الفائدة، مما نتج عن ذلك الاهتمام البالغ لدراسة التفكير الابتكاري.
3. الاهتمام بدراسة التفاعل بين المتغيرات المعرفية وغير المعرفية.

ومن ثم نجد المؤلف يشدد على أهمية تشجيع ومساندة الإبداع لدى الطفل، فيؤكد أن تشجيع الإبداع وتنميته لدى الأطفال يساعد في زيادة إحساس الأطفال بالإجادة والكفاءة الذاتية، حيث يشعرون بالفخر واحترام وتقدير قدراتهم الخاصة على التفكير، مما يساهم إسهاماً كبيراً في إنجازاتهم التالية. كما يساعد الإبداع الأطفال على تنمية شعور إيجابي نحو أنفسهم، ويمكن تشجيع هذا الشعور بأن يستجيب الآباء والمعلمون بإيجابية لما يفعله الطفل، كأن يقول له: "أنا أحب الطريقة التي استخدمت بها اللون الأزرق في صورتك، أو هذه الطريقة جيدة لادعائك بأنك فيل". وكذلك فإن إبداعية الأطفال تعكس مشاعرهم وعواطفهم وتخيلاتهم، حيث لا يهتم الأطفال غالباً بما إذا كانت الأشياء (حقيقة)، ولكن اهتمامهم يكون أكثر تركيزاً على كيفية تفكيرهم فيما يكون هذه الأشياء. ومن ثم فعند عملنا مع الأطفال الصغار يجب أن نتذكر أن عملية الإبداع عندهم أكثر أهمية من المنتج الفني، وهذا يعني أنهم يكونون أكثر اهتماماً بالرسم أو الغناء أو الحركة ذاتها أكثر من اهتمامهم بإنتاج صورة جيدة، أو غناء الكلمات الصحيحة للأغنية (ص 30 من الكتاب).

ويطرح المؤلف سؤالاً قد يبدو غريباً في شكله المباشر، ألا وهو: هل يمكن أن يوجد الإبداع عند الأطفال؟ ويجيب بقوله: نعم، وذلك من خلال مجموعة الخصائص أو الصفات التي يمكن التعرف إليها مبكراً لدى الطفل. ويدلل بأن الطفل الذي نراه ميالاً إلى الفك والتكريب وعمل ألعاب مكونة من المكعبات، والطفل الذي يبرع في الرسم والأشغال اليدوية والطفل الذي يحب الموسيقى ويمكن أن يتعلمها والطفل الموهوب في الغناء، هؤلاء جميعاً أطفال لديهم استعداد للإبداع، ومن الممكن الكشف والتعرف عليهم سواء بالملاحظة العادية أو باستخدام الأساليب العلمية المتعارف عليها.

ولذا يوضح الكتاب أن التفكير الابتكاري للطفل يتجلى في اكتشاف علاقات بين أجزاء الخبرة، أو تكوين أفكاراً جديدة لم تكن معروفة من قبل بالنسبة له، أو يتمثل في إنتاج حركات للعب جديدة... ومثال ذلك: حل مشكلة رياضية من قبل الطفل بطريقة تختلف عما هو موجود بالمادة المدرسية أو عما يقدمه المعلم، يعتبر إبداعاً، وإن كان غير جديد على العلم، وظهور مثل هذا الإبداع مؤشر لإبداع حقيقي لاحق (ص 51).

ويخلص المؤلف من ذلك إلى أن المبدع هو ذلك الطفل الذي لديه القدرة على التعبير الحر الذي يمكنه من اكتشاف المشكلات والمواقف الغامضة، ومن إعادة صياغة الخبرة في أنماط

جديدة عن طريق تقديم أكبر عدد ممكن من الاستجابات والأنشطة غير المألوفة، والتي تتميز بالمرونة بالنسبة للطفل نفسه، ويعبر عنها بأي شكل من الأشكال والأساليب المختلفة للتعبير القصصية والفنية، والحركية، والموسيقية... إلخ.

ويعرض المؤلف في نهاية الفصل الثاني للكتاب للموهبة تعريفها وخصائصها والعبقرية. أما خصائص الموهبة فتتمثل في أربع نقاط هي:

1. أن الشخص الموهوب يمتلك تميزاً وتفوقاً في أحد الجوانب الفنية أو العلمية أو الأدبية، أي أنه قد يكون متميزاً في الرسم أو الموسيقى أو الشعر أو كتابة القصة، إلى آخر هذه الجوانب.
2. عندما تكون الموهبة مقترنة بالابتكار فإن الشخص الموهوب يمكنه في هذه الحالة أن يقدم أعمالاً تتسم بأن أفكارها جديدة.
3. أن الشخص الموهوب قد يكون قادراً على اكتشاف حلول جديدة لمشاكل قديمة.
4. أن الموهبة تستلزم أن يكون الشخص الموهوب على قدر كبير من الذكاء. (ص 77).

قدرات الإبداع لدى الطفل

أما الفصول (الثالث والرابع والخامس) من الكتاب فتعتبر بمثابة (المجال التطبيقي العملي) الكاشف عن (سيكولوجية الطفل المبدع)، والتي يخصص المؤلف كتابه عنها، حيث يعرض لستة عناصر هي: الحساسية للمشكلات، والطلاقة، والمرونة والأصالة، والإثراء أو التعميق أو التوضيح، والقدرة على إعادة التنظيم وإدراك العلاقات، والتخيل، ثم الاحتفاظ بالاتجاه أو مواصلته.

ويستوقف القارئ في هذا الفصل، حديث المؤلف عن سؤال مهم: هل كل ما هو غير مألوف يعتبر ابتكاراً؟ ويجب عن ذلك موضحاً: أن الابتكار الأصيل يتطلب قدراً أعلى من مجرد الجدة (أي غير مألوف)، كما أن مجرد التباين عما هو معتاد ليس كافياً...، وأنه توجد خاصية جوهرية ثالثة للابتكار تظهر في أن يكون له (دلالات أخلاقية إيجابية عالية) فمن الصعب التفكير -مثلاً- فيما هو غير مألوف من أسلحة الدمار الشامل على أنها ابتكار، فهو وإن كان كذلك فإنه يجب النظر إلى آثاره السلبية الخطيرة على المجتمعات الإنسانية بوجه خاص.

ينتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن (التخيل) لما له من أثر مهم في تحقيق عملية الإبداع لدى الطفل، فيقول: عملية الإبداع تعتمد بدرجة كبيرة جداً على استخدام التخيل لتطوير (الموجود)، ويعرف التخيل بأنه القدرة على تصور الحقائق والأفكار، وترتيبها في علاقات أو خطط جديدة، فالتخيل يساعد الفرد على التصور وتصميم الخطط، إلى جانب القدرة على التنبؤ بما يمكن أن يصل إليه من نتائج من خلال هذه الخطط قبل تنفيذها. والطفل لديه استعداد قوي للخيال، فالخيال هو أتمن هبة أعطتها الطبيعة للأطفال، وهو خيال أوسع من خيال الراشدين وأخصب، والخيال مسؤول عن كل الأعمال الابتكارية في الحياة الإنسانية (ص 120).

وتستطيع الأم أن تنمي قدرة الطفل على التخيل بأن تقص عليه بداية قصة، وتطلب منه

أن يكملها، أو تطلب منه أن يخطط أو يضع تصورات له لرحلة أو نزهة سوف يقومون بها، كما يمكنها أن تصاحبه في الرحلات الخلوية وتشرکه معها في عادة التأمل في الأشياء المحيطة.

ويُعد التخيل أحد المكونات الرئيسية للسلوك الإبداعي، فالفرد عندما يواجه موقف الإبداع فإنه يتحرر من هذا الواقع، ويكوّن لنفسه واقعاً جدياً، هو الواقع الإبداعي المستمد من التخيل، وعندما يتمكن المبدع من التحرر من الغموض اعتماداً على العملية التخيلية، فإنه يتمكن من إنتاج فكرة تمتاز بمرونة الأفكار، وطلاقة الصور، وأصالة المعاني. مما يولد وحدة متميزة تشمل مكونات العمل الإبداعي في ناتج أصيل (ص 121).

وتأسيساً على ذلك يعرف د. الكناني الطفل المبدع بأنه الطفل القادر على ممارسة قدراته على تجاوز الوضع القائم إلى وضع يحدث رؤى مستقبلية تحدث تغييراً في الواقع في مسار لانهائي.

سمات الطفل المبدع

في الفصل الرابع للكتاب يتناول المؤلف (سمات ودوافع الطفل المبدع)، حيث يشير إلى بعض خصائص الشخصية التي تطلق مباشرة السلوك الابتكاري، والأمثلة الأكثر وضوحاً على ذلك هي وجود بعض السمات السلبية، مثل رفض القواعد الاجتماعية التي تسبب إنتاج ما هو غير مألوف، ولا ينظر إلى مثل هذا السلوك عادة على أنه ابتكاري، ولكن على أنه غير مرغوب فيه، أو مزعج، أو حتى نوع من الجنون، وسوف تكون له تداعيات سلبية على الشخص المعني، وهو يتضمن - في أحسن الظروف - وصف (الابتكار الكاذب). ولا يلزم أن يكون الابتكار دائماً رد فعل لعوامل سلبية سواء في شخصية الفرد أو في البيئة.

ومن ثم يرى المؤلف أنه يمكن فهم العلاقة بين الشخصية والابتكار بسهولة بفحص الخصائص (السلبية) للشخصية، والتي تبدو أنها معوقة لإنتاج ما هو غير مألوف وفعال. مثال ذلك أن الشخص قد يستطيع أن يكون مزوداً بالمعرفة لإنتاج ما هو غير مألوف وفعال، وأنه محفز بدرجة عالية لذلك، ولكنه خاضع تحت تأثير الكبت نتيجة خصائص شخصية مثل الخوف من أن يبدو غريباً، كذلك فإن الحاجة المبالغ فيها إلى التوافق الاجتماعي (محاكاة الواقع)، يمكن أن ينظر إليها على أنها حواجز مانعة من الابتكار، وهنا لا أن يكون التشجيع، ولكن إضعاف مثل هذه الخصائص، هو ما سوف يسهل تحقق القدرات الابتكارية (ص 133).

أما بالنسبة لمميزات الأفراد المبتكرين فلهم سمات خاصة تفصلهم عن الأفراد الأقل قدرة على الابتكار، حيث استنتج البعض وجود تسع سمات تعتبر - بصفة عامة - إيجابية، والاثنتان الأخيرتين أقل إيجابية، وهذه السمات هي: (الاستقلالية في الاتجاهات والسلوك الاجتماعي - السيطرة - الانطواء - الانفتاح - اتساع دائرة الاهتمامات - تقبل الذات - الإلهام (الحدس) - المرونة - نقص الاهتمام بالمعايير الاجتماعية - الاتجاهات الاجتماعية المضادة).

وقد بين الجدول الذي وضعه المؤلف سمات المبدعين والسلوكيات الدالة عليها، على النحو الآتي (ص 141):

سمات المبدعين والسلوكيات الدالة عليها

السمة	السلوكيات الدالة عليها
الدافعية	يحتاج لقليل من الحث الخارجي لإثارته في البداية
الاستقلالية	يستطيع استخدام مصادر المعلومات المتوافرة ومعالجة المشكلات باستقلالية
الإصالة	يعطي أفكاراً جديدة
المرونة	يستطيع الانتقال من أسلوب في التفكير إلى آخر بكل سهولة
الطلاقة	يعطي حلولاً متعددة للمشكلة
المثابرة	يستمر ويصمم على إنجاز المهمة
حب الاستطلاع	يميل لاستكشاف المجهول والتعرف إلى كل جديد
الملاحظة	ينتبه لكل ما يدور حوله
التفكير التأملي	يستطيع الانتقال من المحسوس إلى المجرد
المبادرة	سريع البديهة واتخاذ القرار
النقد	يفحص البيانات والمعلومات ويقومها (يصدر حكماً عليها)
المجازفة	يقوم بأعمال نتائجها غير مؤكدة لإثبات فكرة أو حل مشكلة
الاتصال	يستطيع التعبير عن نفسه بوضوح، ويحسن الاستماع والتواصل مع الآخرين
القيادة	يعبر عن رأيه بجرأة، يستطيع قيادة الآخرين
سرعة التعلم	يتعلم بسرعة وبسهولة
الحس الجماعي	يحترم سلوك الآخرين وأفكارهم
الثقة بالنفس	واثق من نفسه، يبادر إلى عرض أعماله
التكيف	يتكيف بسرعة مع المواقف الطارئة
تحمل الغموض	يتعامل بسهولة ويسر مع المسائل الصعبة والغامضة
اتخاذ القرار	يستطيع الحكم على البدائل ومدى ملاءمتها للحل

كذلك عرض المؤلف للفرق بين الطفل المبدع والطفل غير المبدع، في الجدول الآتي (ص 149):

المبدع	غير المبدع
1- رؤية مستقبلية	رؤية للماضي (والوضع القائم)
2- تفكير مرن	تفكير متصلب (جامد)
3- تكوين علاقات جديدة	تذكر وتكرار علاقات قديمة
4- تغيير الواقع	محافظة على الواقع (أو الثبات)
5- خيال حر	خيال موجه (أو معتمد على)
6- قيم إنسانية عالمية	قيم خصوصية محلية (تقليدية)
7- تحرر من المحرمات الثقافية	هيمنة المحرمات الثقافية (أسير ثقافة الواقع)
8- تعدد التأويلات أو التفسيرات	تفسيرات أحادية يعامل واحد
9- التعامل مع المعرفة بأسلوب جدلي لولبي	يتناول المعرفة بأسلوب ذي اتجاه واحد أو دائري
10- مستقل لا تنقصه الخبرة كثيراً	غير مستقل فهو يحتاج إلى حماية الكبار (أو الآخرين)
11- الطفل إيجابي	الطفل سلبي
12- يشكل الواقع	التكيف مع الواقع (الرضوخ له)
13- تقبل الواقع من خلال التعرف على التناقضات	تقبل الواقع من غير التعرف إلى التناقضات

14- إنتاج المعرفة والمعلومات	استهلاك المعرفة والمعلومات
15- التعلم الإيجابي من خلال إثارة أسئلة	التعلم السلبي من خلال الإجابات الجاهزة
16- إنتاج آراء شخصية جديدة	تذكر آراء الآخرين
17- إنتاج أفكار ومنتجات مبدعة	استهلاك أفكار ومنتجات الآخرين
18- التعلم في إطار ثقافة الإبداع	التعلم في إطار ثقافة التذكر

العملية الابتكارية

يتحدث الكتاب في الفصل الخامس عن (الحل الابتكاري للمشكلة)، أو ما يسميه المؤلف بـ: (العملية الابتكارية)، وحل المشكلة هو نشاط ذهني معرفي يتم فيه تنظيم التمثيل المعرفي للخبرات السابقة مع مكونات موقف المشكلة الحالية معاً، وذلك بغية تحقيق الهدف، ويتم هذا النشاط وفق إستراتيجية الاستبصار التي تتم فيها محاولة صياغة مبدأً، أو اكتشاف نظام علاقات يؤدي إلى حل المشكلة، ويمكن صياغة فروض وتخمينات ذكية للحل.

ولحل المشكلة يقوم كل من المعلم والطفل، بسلسلة من الإجراءات لإيجاد حل مناسب، بحيث يكون الطفل صانعاً للتوقعات الذكية، أو التي نسميها الفروض، وواصفاً لخطة السير، أي أنه يضع إستراتيجية أو مسودة الحل Protocol حتى تزول المعوقات ويتحقق الهدف. والطفل في تفكيره لحل المشكلة يتعلم وصف الصعوبة بصوت مسموع، ويحاول اقتراح خطط أو مستعينا بخبراته، وهو يتجه نحو طريق التفكير العلمي.

ويعتمد أسلوب حل المشكلات أيضاً على مقدار ما يتعلمه الطفل، وعلى مدى ما يمكن أن يستثمره مما تعلمه، وهذا يتطلب أن يستوعب الطفل قدرًا من المعلومات والحقائق الكافية، لكي يستطيع الطفل أن يقدم حلولاً للمشكلة، وتعليم الطفل كيف يتعرف على المشكلة يأتي من خبرته المباشرة، لذلك فإن ما يتعلمه الطفل يجب أن يشتمل على بعض المشكلات وطرق حلها، سواء كانت مشكلات دراسة أو مشكلات لعب، أو علاقات اجتماعية (ص 163، 167).

ويوضح المؤلف من خلال الجدول التالي (المقارن) أسلوب حل المشكلة بطريقة ابتكارية وحلها بطريقة تقليدية أو معتادة (ص 183):

أوجه المقارنة	أسلوب حل المشكلة ابتكارياً	أسلوب حل المشكلة المعتاد
نظام التفكير	نظام التفكير مفتوح	نظام التفكير مغلق
مسارات التفكير	مسارات التفكير أكثر تشعباً	مسارات التفكير أقل تشعباً
معطيات المشكلة	الانطلاق من فكرة إلى أخرى محاولاً الوصول إلى حل المشكلة	ينحصر التفكير حول فكرة واحدة والوصول إلى الحل المطلوب.
المعلومات والخبرات السابقة	تستخدم في توليد واستمطار أفكار جديدة ومعلومات أخرى	يتم توظيف المعلومات في ضوء الفكرة الغالبة الواحدة التي توصل إلى حل.
الحلول التي يتم التوصل إليها	حلول لمشكلات جديدة وغير مألوفة بالإضافة للحلول المألوفة الأخرى.	غالباً ما تكون حلولاً مألوفة وشائعة وسهل الوصول إليها
طبيعة العمليات العقلية	العمليات التي تتم داخل عقل المبتكر غالباً ما تكون معقدة ومتشعبة	العمليات التي تتم داخل عقل الفرد غير المبتكر غالباً ما تكون بسيطة وغير معقدة وغير متشعبة.
نوع الأفكار وكماها	الأفكار متعددة وكثيرة نتيجة عملية التوليد والاستمطار	الأفكار محدودة وترتبط مباشرة بالمشكلة

توسيط المتعلم	- يكون صبوراً ولا يحبط بسرعة. - يوجه تفكيره في اتجاهات كثيرة. - لا يقتصر على مدخل واحد. - يفكر في أكبر عدد ممكن من الاستجابات. - يهتم بالمعلومات المباشرة وغير المباشرة	- قد لا يكون صبوراً. - اختصار المشكلة وتحويلها إلى عدد ممكن من الرموز محاولاً تقليل الأفكار. - يحصر التفكير في اتجاه واحد. - التفكير ينصب على الحقائق والمعلومات ذات الصلة المباشرة بالمشكلة.
---------------	---	--

المؤسسات التربوية

في حديث الكتاب عن (النتائج الابتكاري) في الفصل السادس، يستوقف القارئ تنبيه المؤلف للمعنيين بالطفل والمؤسسات التربوية إلى ضرورة الاهتمام بالجانب الخلفي في العملية الإبداعية، باعتباره أساساً وركيزة لا غنى عنهما في الجانب الإبداعي، حتى تأخذ بأيدي المبدعين البارزين فيما تقدمه أذهانهم وخبراتهم، نحو الخير والبناء والإصلاح، لأن واقع الإبداع يشير إلى أن المبدعين البارزين الذين فقدوا الجانب الأخلاقي، كانوا دماراً على المجتمعات بما أنتجوا من ابتكارات، فمخترع القنبلة الذرية رجل مبدع لا شك في ذلك، ولكن فقدان الجانب الأخلاقي جعله يسخر ذهنه في ابتكار ما يدمر به البشرية؛ لذا فإنه يتعين تحصين الإبداع في حدود ما ينفع البشرية، وفي ظل الضوابط الشرعية الأخلاقية، وهذا ما يحتم على الجهات التعليمية إعطاء أولوية لهذا الجانب، وإلا انتجت أفراداً ممن لا يقيمون وزناً لمعايير الإبداع وحدوده (ص 193).

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن (إستراتيجية اكتشاف القدرة الإبداعية للطفل)، فيوضح أن اكتشاف القدرة الإبداعية يعد الخطوة الأولى نحو الاهتمام بالإبداع والمبدعين، والطريق نحو ملاحظة السلوك الإبداعي للطفل واكتشاف المجال النوعي لإبداعه، وذلك يعتمد على مراقبة مسارات تفكير الأطفال لاكتشاف الكامن لدى الأطفال المبدعين، ومن خلال كم هذه الأنشطة وتنوعها وتفرداها يمكن للمعلمة الكفاء الكشف عن الأطفال المبدعين فعلاً، ومن ثم اتخاذ الطرق والأساليب اللازمة لتنمية التفكير الإبداعي لديهم. وهناك بعض الأفعال والأدوات السلوكية التي يدل وجودها على بداية الإبداع عند الأطفال، ويجب على الوالدين والمعلمة الوعي بها (ص 210).

أما بالنسبة لتفسير نظريات علمي النفس والاجتماع، فقد عرض الكتاب لنظريات السلوكية، والتحليل النفسي، والمعرفية، والإنسانية للإبداع. وفي مجال النظريات الاجتماعية والنظريات العملية للإبداع، يشير المؤلف إلى النظرية الاجتماعية التي تعول كثيراً على التنشئة الاجتماعية في تنمية الإبداع وتطوير إمكاناته لدى الأفراد، والحديث عن التنشئة الاجتماعية يعني بيان الظروف والشروط الثقافية والتربوية التي يعيش فيها الفرد، ومن ثم تؤثر على سلوكه، وتحدد اتجاهاته وقيمه في إطار تنمية أو إحباط القدرات الإبداعية، مثال ذلك الكشف عن طبيعة ودور المناخ الأسري والاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل، والقيم الاجتماعية السائدة في العلاقات الأسرية، وأساليب التنشئة: هل تعتمد على التفرغ والتأنيب أم الإيحاء والتعليم؟ وهل تحبذ سلوك الطاعة والانصياع أم حرية التعبير وتنمية الاستقلالية؟ وما موقفها من المرء طفلاً في البيت، وإنساناً مواطناً في المجتمع؟ (ص 269).

في الفصل التاسع للكتاب يعرض المؤلف للفروق بين الجنسين في عملية الإبداع ونموها خلال مرحلة الطفولة، فيذكر أن فريقاً من الباحثين يرى أن الفروق بين الجنسين في الابتكار ترجع إلى عوامل فطرية (استعدادات). أما الفريق الآخر فإنه يرجعها إلى عوامل ثقافية اجتماعية. ويستند أصحاب وجهة النظر الأولى إلى أن الابتكار يتفق مع طبيعة الرجل أكثر مما يتفق مع طبيعة المرأة، وذلك لأن الابتكار يحتاج إلى شخصية مستقلة، جريئة، ثائرة، تحب المخاطرة والتجديد أو الأصالة. أما تكوين المرأة الجسمي والنفسي فإنه يجعلها تنزع إلى الاستقرار والحياة الأليفة. وقد تأيد هذا التفسير من قبل الدراسات التي تشير إلى ارتباط الابتكار بسمة الذكورة أكثر من ارتباطه بسمة الأنوثة. وأن سمة الذكورة لدى المبتكرين أعلى منها عند غير المبتكرات. في حين يرى أصحاب وجهة النظر الثانية أن اختلاف السياق الثقافي الاجتماعي يشجع على استعداد الرجل دائماً، أكثر مما يشجع المرأة على تنمية استعدادها المتساوي فطرياً مع استعداد الرجل على الابتكار. إن السلوك الابتكاري يتأثر إلى حد كبير بالسياق النفسي والاجتماعي والوجداني والمعرفي المحيط بالفرد، مما يؤدي إلى وجود فروق بين الأفراد داخل الجماعة الواحدة، وكذلك أيضاً الفروق بين الجماعات (ص 285). ويخلص المؤلف من ذلك إلى وجود فروق واضحة بين الكبار والأطفال في العوامل الداخلية (النفسية) والخارجية (الاجتماعية)، مثل الخبرة والمعرفة ومهارات تقويم الذات، والصورة الذهنية الذاتية، والدوافع، إلى جانب عوامل أخرى، والتي تتضمن المعايير الاجتماعية والأنماط المهنية وأدوار الحياة.

الوهم والواقع

ويستعرض الكتاب في الفصل العاشر (الخيال والإبداع) بعض المصطلحات والمفاهيم، والعلاقات بين الخيال والإبداع والأنشطة التي يمكن من خلالها قياس أبعاد التخيل، ودعوته إلى تشجيع الخيال الإبداعي للطفل. حيث يؤكد على أن الخيال يحتل حيزاً كبيراً من النشاط العقلي للأطفال، وتكون الصور الذهنية التي تتابع في عملية الخيال، على درجة كبيرة من الوضوح، إذا قورنت بالصور الذهنية في حياة الراشدين. وهذا يجعل التمييز بين الوهم والواقع أمراً صعباً على طفل في الثالثة أو الرابعة.

ويشير مصطلح التخيل إلى نشاط غير محكوم أو غير متحكم فيه، أو لا يمكن توجيهه بواسطة الفرد الذي ينغمس فيه كبديل للواقع، وهو يرتبط بأحلام اليقظة، والخيال هو القدرة العقلية النشطة على تكوين الصور والتصورات الجديدة، ويشير هذا المصطلح إلى عملية الدمج والتركيب، وإعادة التركيب بين مكونات الذاكرة الخاصة بالخبرات الماضية، وكذلك الصور التي يتم تشكيلها وتكوينها خلال ذلك في تركيبات جديدة.

وفي سن خمس سنوات يكون تخيل الطفل حراً منطلقاً، فقد نما تخيل الأطفال في هذه السن نمواً يمكنهم من أن يسبح خيالهم مسافات بعيدة في حرية وانطلاق، ولهذا يميلون إلى الاستماع إلى القصص التي تتضمن الشخصيات الغريبة مثل الأقزام، والعمالقة، والملائكة وغيرها مما نجده في القصص الخيالية، وهم بطبيعتهم يحبون المبالغة في الحديث (ص 330)، أما طفل السادسة فإنه يتمتع بخيال خصب، ويكون في صور مناجاة (مونولوج) فيقوم الطفل بتوجيه الأوامر للأشياء الحية وغير الحية، كما يكون تخيل الطفل إبداعياً أو

تركيباً، كما أنه يأخذ اتجاهاً جديداً نتيجة للنضج العقلي، فيكون موجهاً إلى غاية عملية أكثر من التخيل الحر المطلق من القيود الذي يقوم على الوهم، ولا يتصل بماضي الطفل أو بحاضره، ويأخذ تخيل الطفل في سن السادسة شكلاً آخر؛ إذ نجده يتشبه بالأبطال وبأعمال البطولة، وتكون قراءة الطفل وما يشاهد من تمثيلات وأفلام سينمائية، وما يسمعه من قصص في الإذاعة مجالاً خصباً يمدّه بعناصر متنوعة تبرز هذه الناحية في شخصيته.

أما طفل السابعة والثامنة فينمو لديه الاستعداد التخيلي وحب الروايات الدرامية والقصص الخيالية، كما يمتاز الطفل في سن السابعة والثامنة بذاكرة بصرية حادة، ولذلك كان الجزء الأكبر من مادة تفكيره قائماً على الصور البصرية، فهو يستعين في عملية التفكير باستعادة الصورة الحسية وخاصة بذلك النوع من التخيل الذي يسمى التخيل الاسترجاعي Reproductive، كما يظهر التخيل التركيبي Constructive أو الإبداعي Creative وهو القدرة على تركيب أو إبداع صور لا توجد في الواقع، وإن كان يمكن أن يتحقق في المستقبل.

ويذكر الكتاب أنه يغلب على الخيال في المراحل المبكرة (مرحلة ما قبل المدرسة) طابع اللعب والتهويم، أو ما يسمى بالتخيل أو الفانتازيا. ولهذا فقد أشار كوهن وماكايت Cohen & Macheuth إلى أن الخيال لدى الأطفال الأصغر سناً غالباً ما يكون مرتبطاً باللعب، أو هو نوع من اللعب يتميز باللقائية والحرية، وعدم الخضوع للقواعد والقوانين. ويكون العمل الإبداعي بشكل عام، محصلة للتخيل (الخيال / التخيل) الحر والخيال المنظم، هكذا يكون العمل الإبداعي عملاً خيالياً أكثر منه تخيلاً، فالخيال إذن مرتبط بالنظام أو الأسلوب الخاص، بالصناعة أو التكنيك في حين أن التخيل مرتبط بالحرية النسبية التي تتمثل في التدفق والتهويم الطليق في مجال أو موضوع معين.

في نهاية الفصل يؤكد المؤلف على ضرورة تشجيع الخيال الإبداعي للطفل، لأن ممارسة الخيال أمر ضروري لتنمية الإبداع، وهو وسيلة هامة من وسائل أعمال الفكر الإبداعي، والخيال بحاجة إلى حفظ وإلى تدريب لكي ينمو عند الفرد، ومن ثم لابد من التشجيع عليه منذ الصغر، وكلما كان الخيال ممثلاً وعميقاً كان دليلاً على قدرة إبداعية وتصورية كبيرة، من إنشاء علاقات جديدة، من الخبرات السابقة، ومن صور وأشكال لا سابق خبرة للفرد بها، ومن توهم عوالم وحوادث لم تقع، هذه القدرة من أهم دعائم الإبداع، في رأي المؤلف، ويعلل ذلك بأننا لا يمكن أن نتصور مخترعاً أو مبتكراً دون خيال واسع؛ لأن الاختراع يبدأ عنده بتصوير شيء ممكن تحقيقه، أو بتصوره عندما يتم، وبعد ذلك يسعى نحو تحقيقه.

وعلى الرغم من مطالبته الأسرة بالاهتمام بحفز خيال الطفل عن طريق القصص والحكايات، تقديراً لدور الخيال في عملية الإبداع، فإنه ينبه بالاتباع في سرد أو حكي القصص الخيالية على الرغم من أهميتها في إثراء خيال الطفل وخصوبة تفكيره، وعليها أن تساعد طفلها في الوقت نفسه على عبور الهوة بين عالمه الخيالي وواقعه الذي يعيش فيه.

ويرصد المؤلف أن معظم تساؤلات الأطفال يكتنفها الخيال، وفي مرحلة الطفولة نلاحظ أن اللعب الإيهامي أو الخيالي، وأحلام اليقظة تميز هذه المرحلة، ويلاحظ فيها قوة خيال الطفل، حيث يطغى خياله على الحقيقة، ونلاحظ أن الأطفال في هذه المرحلة مولعون باللعب والدمى والعرائس، وتمثيل أدوار الكبار (ص 349-350).

لعب الطفل وإبداعه

يأتي الفصل الحادي عشر من الكتاب (لعب الطفل وإبداعه) في مكانه المناسب من موضوعات الكتاب. وفيه يشير المؤلف إلى أن الإنسان يمارس سلوك اللعب في حياته الفردية والجماعية، وتبدأ هذه الممارسة منذ الأشهر الأولى من حياته، حيث يلعب مع نفسه بتحريك عينيه نحو الأشياء المتحركة من حوله، وتحريك يديه ورجليه، وتشابكها معاً، ثم يتطور اللعب الفردي لدى الطفل مع تقدمه في العمر، وتتطور كذلك حاجاته النمائية. وكلما زاد عمر الطفل ونضج جهازه العصبي والعضلي، فإن نشاط اللعب يأخذ بالتعقيد والتنظيم، بصورة متوازية مع الخصائص النمائية للطفل، حيث يتطور اللعب في الحالة الفردية في إطار منافسة الذات، إلى حالة الفردية في إطار منافسة الآخرين وممارسة سلوك اللعب في حضورهم، ثم اللعب بمشاركتهم، ثم اللعب بصورة جماعية تعاونية في سياق اللعب الاستكشافي، أو المعالجة، أو المران، أو التكرار، وتصبح ممارسته فيما بعد بحاجة إلى قواعد وشروط وتعلم للقيام بها.

ويُعد اللعب من الأنشطة المهمة التي يمكن أن تساعد على تنمية الأطفال من النواحي الجسمية والاجتماعية والنفسية، كما يعتبر اللعب مظهراً من مظاهر سلوك الإنسان في مرحلة الطفولة المبكرة، والتي تعد مرحلة وضع اللبنة الأولى في تكوين شخصية الفرد، ولذلك تُجمع نظريات علم النفس على الرغم من اختلافها على أهمية (اللعب) في هذه المرحلة في تكوين شخصية الفرد. ومن ثم يعتبر المؤلف اللعب وسيطاً تربوياً مهماً يسهم بدرجة كبيرة في تشكيل الطفل في هذه المرحلة التكوينية من النمو الإنساني. فعن طريق اللعب يتم إشباع نزوع الطفل إلى الحياة المشتركة مع الكبار على أساس (العامل المشترك)، كما أنه باللعب تفتتح أمام الطفل أبعاد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد (ص 355).

أما عن دور اللعب في تنمية إبداع الطفل، فيؤكد علماء التربية على أهمية اللعب في رياض الأطفال كوسيلة للتعلم، وتنمية مهارات التفكير، وعلى اعتبار أن اللعب نشاط ينطوي على خبرات تعمل على نمو الطفل نمواً طبيعياً، كما يهيئ اللعب للطفل استكشاف البيئة من حوله، والتدريب على كيفية التعامل مع البيئة بحيث يستطيع مواجهة المشكلات، وفهم حقيقة الحياة. كما أن ممارسة الألعاب تؤدي إلى نمو المعرفة عن طبيعة الأشياء، وكلما مارس الطفل الألعاب التي يخترع فيها الأشياء، أدى ذلك إلى تعلم بناء ونمو قدراته الفكرية، كما أن الأطفال في لعبهم يتبعون أكثر من طريقة، ويقومون بمحاولات متنوعة لمعالجة مشكلات من صنع خيالهم تساعدهم على مواجهة مشكلات حقيقية في حياتهم مستقبلاً (ولعل هذا ما دعا فيزانا ميلر لأن تقرر أن اللعب ليس مضيعة للوقت).

تعقيب وملاحظة

كتاب سيكولوجية الطفل المبدع، للدكتور ممدوح عبد المنعم الكناني، عمل أكاديمي يستحق القراءة أكثر من مرة، لما يتمتع به من سلامة الأسلوب وسهولة لغته وبعده عن التعقيدات والإغراق الفلسفي وغموض المصطلحات العلمية، مما يكشف بوضوح إدراك المؤلف لطبيعة موضوع كتابه والشرائح المخاطبة (الأسرة، والمدرسة، والأطفال أنفسهم) لاسيما أنه الكتاب الأول من سلسلة تشمل أربعة كتب للمؤلف، حرص فيها على أن تتضمن مفاهيم جديدة لم

تتوافر في العديد من المراجع التي تعالج مرحلة الطفولة والإبداع الذي يرتبط بها بشكل وثيق.

كذلك اتسمت فصول الكتاب بالشرح الموسع، وبسط خبرة مؤلفه على مدى يقارب الأربعين عاماً (1977- وحتى الآن) ما يمكن القارئ العادي، فضلاً عن الباحث المتخصص من الحصول على مادة علمية دسمة تفيد القراء نظرياً وعملياً، وتساعد الأسرة والمدرسين على اكتشاف مواهب أبنائهم أو تلاميذهم في مختلف المراحل التعليمية.

وعلى الرغم من تقديرنا للجهد البارز المبذول في الكتاب، فإن ثمة تعقيباً وملاحظات لا تغض من قيمة الكتاب ومؤلفه.

من ذلك ما ذكره د. الكناني من أن الخيال هو أئمن هبة أعطتها الطبيعة للأطفال (ص 120). والحقيقة أن الموهبة - أياً كان نوعها - هي عطاء من الله عز وجل لعباده، مؤمنين أو غير مؤمنين، فليس هناك شيء اسمه (هبة الطبيعة) فالطبيعة ذاتها خلق الله سبحانه وتعالى، وهذا القول من الخطأ الشائع على ألسنة الناس حتى المثقفين منهم والمتعلمين!!

أيضاً يذكر المؤلف أثناء حديثه عن (الاكتشاف) أن الاكتشاف يأتي عن طريق الصدفة (المصادفة) والفطنة العارضة "فالاكتشافات العظيمة في المجالات المختلفة قد لا تكون نتيجة لبحث أو جهد منطقي منظم، وإنما هي نتيجة لعامل الصدفة" (المصادفة) (ص 70). والحقيقة أنه ما من اختراع أو اكتشاف، أو إبداع، يوجد في الكون إلا بعلم الله عز وجل وإرادته، لأن الصدفة (المصادفة) عمل غير محسوب سلفاً ولا متوقع من قبل الإنسان، ولا يمنع ذلك من وجوده وتقديره بإرادة الله وعلمه (علم الله الأزلي)؛ لأنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريد. فما لا يفتن إليه عقل الإنسان، ثم يشاء الله له أن يوجد في هذا العالم بسبب من الإنسان، يسعه علم الله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما يشاء) وهذه المشيئة الإلهية تهدي الإنسان إلى اكتشاف أو اختراع ربما لا يكون له دخل فيه، إلا بمقدار الدلالة عليه أو الإهداء الوصول إليه. هذه الهداية هي التي يسميها الغربيون صدفة (مصادفة) (أو هبة الطبيعة) وهذا خطأ محض.

يتبقى أن نشير إلى ملاحظة شكلية تتعلق بالفصلين (الثامن) و(التاسع)، فنرى أن الأنسب أن يكون فصل (الفروق بين الجنسين في الإبداع ونموها خلال مرحلة الطفولة) مكانه (الفصل العاشر) في الكتاب، وأن فصل (تفسير نظريات علم النفس للإبداع) مكانه (الفصل الأخير) في الكتاب، أي بعد الفصل (الثاني عشر). لعب الدور في الدراما الإبداعية... فهذا الترتيب هو الأقرب - منطقياً - طبقاً لمنهج الكتاب وموضوعات فصوله.

ولله در العماد الأصفهاني صاحب المقولة المشهورة: "لا يكتب إنسان كتابه في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو بقي كذا لكان يستحسن، ولو زيد هذا لكان أفضل".!

دعوة إلى الباحثين العرب للمشاركة في مجلة الطفولة العربية بثوبها الجديد

تسترعي الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية عناية الباحثين العرب إلى أن مجلة الطفولة العربية انتهجت خطة إصدار جديدة اعتباراً من العدد (33) - ديسمبر 2007 وفقاً للمحاور الآتية، والتي ستصبح بمثابة الملفات الخاصة لأعداد المجلة، وسيكون كل محور منها عنواناً بارزاً لأغلفتها:

- 1 - الأطفال والديمقراطية.
- 2 - الأطفال وثقافة التسامح.
- 3 - الأطفال والعلوم.
- 4 - الأطفال وثقافة الصورة.
- 5 - الأطفال وفضاء اللعب.
- 6 - الأطفال والثقافة الإلكترونية.
- 7 - الأطفال والعدالة التربوية.
- 8 - مدارس المستقبل لأطفال ما قبل المدرسة والرياض (المبنى - التأنيث - اللعب - وسائل الإيضاح - الخبرات... إلخ).

لذا، فإنه يسعد الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية دعوة الباحثين العرب أينما وجدوا للمساهمة في مجلة الطفولة العربية ببحث يعدونه خصيصاً لأي من المحاور المذكورة، هذا وستقوم الجمعية بتقديم مكافأة مالية رمزية* تشجيعاً للأبحاث والدراسات المقدمة، على أن تكون تلك الأبحاث وفقاً لقواعد وشروط النشر في المجلة التي يجدونها على موقع الجمعية الآتي: www.ksaac.org

آملين استجابتكم الكريمة، مع موافاتنا بعنوان الدراسة التي ترغبون في إعدادها وفقاً للمحاور الثمانية المذكورة، ومن ثم تزويدنا بدراسكم حال الانتهاء منها.

ترسل جميع المكاتبات على العنوان الآتي:

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

مجلة الطفولة العربية

ص.ب: 23928 - الصفاة: 13100

دولة الكويت

هاتف: 24748250، 24748479، فاكس: 24749381

البريد الإلكتروني: haa49@ksaac.org.kw

* (500 دولار أمريكي) للأبحاث الميدانية والتجريبية، و(150 دولاراً أمريكياً) للأبحاث والدراسات النظرية.